

فنلندا

” مترجمة عن مجلة ريدرز دايجست “

”سبوي“ هم الاسم الشعبي لفنلندا، فهو الاسم المحبوب المتردد دائماً على كل له ان وكل فنلندي يحب بلاده ويستحوذ حبها على قلبه وآماله وأعماله . وتحاط الوطنية الفنلندية أحياناً بإطار غريب من المظاهر يشكك بعض الناس في حقيقتها . والفنلنديون شديداً الشغف ” بالسيفونيات “ الساحرة التي وضعها فنانهم الموهوب ” جون سيبيليوس “ ، وميلون إلى الرياضات العنيفة ، وبخاصة العدو مسافات بعيدة على النمط الذي رسمه بطلهم المحبوب ” بافونيرمي “ وكلتا المواهبتين تصدر عن تعصب وطني عميق .

وفي وقت ما ، حاول القيصر إخماد الروح الوطنية الفنلندية ، وعمل على الفصل بين الفنلنديين والروسين ، ولكن هاتين المحاولتين كانتا تبوءان بالفشل كلما اجتمع الشعبان في الحفلات الرياضية الدولية التي كان يظفرونها الفنلنديون بفخر التفوق ، ولا تزال البطولة الفنلندية إلى الآن مصدر انتصار فنلندا في كثير من الميادين ، وكان المقدر لدورة عام ١٩٤٠ للألعاب الأولمبية أن تقام في هلسنكي (عاصمة فنلندا) لولا ظروفها السياسية الأخيرة .

وفي تلك الفترة المظلمة التي قاست فيها فنلندا الأهوال الجسام بسبب ثباتها على عقائدها الروحية الكريمة كان فنانها الأول ” سيبيليوس “ يوجه كل مواهبه ويجمع كل إحساساته الثائرة للذود عن حريتها ، وما لحقه الخالد ” فنلنديا “ إلا صورة رائعة عبقرية لبلاده الحية وإيمانها العميق بمثلها العليا ، ومن أجل هذا حاربه البوليس الفيصري أينما سمعه .

وجمعيات التعاون التي بلغ عددها ستة آلاف والتي تضم أكثر من ثمانمائة ألف عضو من الفنلنديين هي أبلغ دليل على وحدة جهودهم ، وتضامنهم الوطني الوثيق .

وللوطنية الفنلندية وجه آخر ، فالشرف الوطني ، الذي أثار حروباً عديدة هو من صميم الآداب الشعبية التي يتحل بها الفنلنديون . وليس أدل على ذلك من أن فنلندا نفسها قد سددت

خمسة ملايين من الجنيهات من ديون الحرب التي كانت في ذمتها للولايات المتحدة ، والتي يبلغ مجموعها ثمانية ملايين ونصفاً ،

ولفنلندا مناعة روحية عجيبة ، فعلى الرغم من السبعمائة سنة التي هي عمر اتحادها مع السويد لا تزال محفوظة بكامل شخصيتها التي ظلت دائبة على الاستمساك بها حتى وقوعها في قبضة القيصرية حينما كان نابليون الجبار يشعل نار الحرب في كل نواحي أوروبا فلما اندلع لهيب الثورة الحمراء شعرت فنلندا المظلومة بأن أجراس الخلاص بدأت تدق ، وبضربة باسلة حطمت الجيوش الروسية ، وطردت فلولها من كل شبر من أراضيها ، وما أشرقت شمس ١٧ يولية سنة ١٩١٩ حتى كان الفنلنديون في الطرقات والمنازل يرقصون ويغنون احتفالاً بقيام جمهوريتهم الجديدة .

والفنلنديون رجال صمت وتفشف ووقار ، لا تصرفهم تقلبات الجو القاسية المستمرة عن مبادئهم النبيلة سواء ذلك في النساء والرجال ، وإن خلق الجلد الذي يتميزون به هو مستمد من فطرتهم السمحة المشربة بالصبر والاحتمال ، وليس أعجب في هذا الباب من الحمام الفنلندي الذي يسمونه (ساونا) ، لتصور غرفة ضيقة مغلقة ، ليس بها إلا كوة صغيرة في السقف يتصاعد منها الدخان المنبعث من جمرات متقدة بلهيب أحمر خافت ، وبين تلافيف الضباب الكثيف نرى إذا استطعنا ذلك عدداً من الفنلنديين راقدين على ظهورهم يدلكون أعضائهم في ذلك الجو الخائق ، حتى تكتوى جلودهم ، وما هي إلا لحظات حتى يقفزون من مراقدهم الصخرية الخشنة ليفطسوا متساقطين في بحيرة من ذوب الجليد وهم يرسلون صيحات الفرح والابتهاج ، وذلك في ظنهم يفسر قدرتهم الرياضية التي صارت جزءاً من طبيعتهم ، وقد بلغ من تسببهم بتقاليدهم أن احتفظوا بذلك الحمام بعد أن أدخلوا في منازلهم الوسائل الحديثة للاستحمام ، معتقدين أنهم إذا أهملوه ذهبت عنهم صلابتهم وقوتهم الفولاذية وحلت محلها الدمة والطرادة .

وفي السنين الأخيرة تحول نفورهم الى زيادة نسبة التعليم التي صارت تسعين في المائة فأصبح لهم بذلك شرف الجمع بين جمال الجسم وجمال الفكر .

وهلسنكي ، العاصمة الأنيقة الفسيحة ، تعتمد على نفسها في كل أمورها ، وهندسة البناء فيها تتميز بطابع الابتكار والقومية والجرأة ، والروح الديمقراطية اللطيفة هي السائدة بين سكانها الذين يبلغون ثمانية ألدنا من النفوس إذ تخفى فيها الفواصل الاجتماعية بين الطبقات وحتى قبل حصول فنلندا على استقلالها كان مباحاً لفتياتها الالتحاق بالجامعة والدخول في ميادين العمل المختلفة مع أن بقية دول أوروبا لم تكن قد أباحت مثل هذه الامتيازات للمرأة .

وعلى الرغم من تلك المدنية العريقة فإن بعض الأقاليم الريفية في فنلندا لا يزال نساود يرتدين الزي الفنلندي القديم ذا الأكام الطويلة "والمرايل" الفضفاضة والألوان الزاحية على حين أن نساء بعض المناطق الأخرى قد اقتبسن الزي الأوربي الحديث المتناز بالبساطة وسلامة الذوق ، كما اقتبسن معه طرق التجميل العصرية .

ولألحان "سييليوس" وقطعه الموسيقية الرائعة تأثير عميق في نفس الشعب الفنلندي فهو حين يسمعه ينسى أنوار المدنية الحافظة ، ويشعر أن "سييليوس" يتوده إلى قلب غابات فنلندا الكثيفة ، ويهيم به في أوديتها الناضرة ومراعيا الغزيرة ، ويسمعه تحرير المياه المتحدرة في حنو وجلال من القنوات المترجة المتشابكة ، ويريه رأى العين القوارب البخارية الرشيقة وهي تنخر عباب البحيرات الفضية ، كما يأخذه إلى الشواطئ السندية حيث تسير النقالات النهرية الضخمة ، المشدودة بالحبال ، في صمتها الشعرى بين الشاطئين .

وفي هذا العالم الحافل بالطمع لا تنظر فنلندا القانعة إلى ما بيد غيرها ، ولا تريد فرض فلسفتها السياسية ولا الزراعية على دولة من الدول ، بل هى لا تشهى إلا أن تعيش في عزلتها الهادئة .

ولكن هل يستجيب العالم لرغبتها هذه ؟ . . ذلك ما يعرفه المستقبل وحده .

— عاتب أخاك بالإحسان اليه ، واردد شره بالإنعام عليه .

— من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلاومن من أساء به الظن .

— من كتم سره كانت الخيرة في يده .

— الناس أعداء ما جهلوا .

— من استقبل وجوه الآراء عرف مواطن الخطأ .